جماليات المكان في أعمال إيهاب الورداني القصصية

إعداد

نورا سمير محمد محمد

ماجستير في الأدب والنقد في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب _ جامعة طنطا

أ.د أسامة محمد البحيري

أستاذ النقد الأدبي والبلاغة بقسم اللغة العربية بكلية الآداب_ جامعة طنطا

د. بشير عصام الشوربجي

مدرس الأدب والنقد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب_ جامعة طنطا

المستخلص :

تبلور موضوع الدراسة حول توضيح محورية المكان في مجموعات إيهاب الورداني القصصية حيث اهتم بالمكان اهتماماً بالغاً فخرج عن كونه إطار تقع فيه أو عليه الأحداث إلى كونه البطل الأول للقصة ، و قد برع القاص في إبراز المكان بحدوده و ملامحه و آثاره و ذلك باستخدام تقنيات الوصف فأصبح للمكان تأثير واضح على الجانب الشكلي و النفسي و الاجتماعي للشخصية مما ساعد في بناء العناصر الأخرى للقصة ، و كشفت دراسة المكان عن ارتباط قصص إيهاب الورداني ببيئتها بصورة قوية ، و ذلك من خلال : التصوير الدقيق للبيئة المتمثلة في قرية مجول التي كانت مسرح الأحداث و مكان حركة الشخصيات في معظم القصص . واعتمدت الدراسة على آليات المنهج الفني بما يقتضيه من تحليل و موازنة ، كما لم تغفل المضمون وما يندرج خلفه من أهداف و غايات .

و انقسمت الدراسة إلى جزئين : الجزء الأول : المفهوم و إشكالية تعدد المصطلح ، الجزء الثاني : ثنائية الانفتاح و الانغلاق مع بيان الصفات المختلفة لكل مكان و بيان حضوره الذي يمثل دلالات مختلفة عبر القصص .

وجاءت أهم نتائج الدراسة : متمثلة في نجاح القاص في التعبير عن القضايا العامة و الخاصة و ذلك من خلال تطويع أنماط المكان المفتوحة و المغلقة ، كما نجح القاص في تصوير البيئة المحلية المتمثلة في قريته مجول تصويراً دقيقاً في قصصه فبيّن ما تمتاز به كما أوضح عيوبها التي تلازمها على مر العصور .

الكلمات الإفتتاحية :

الفضاء ، المكان ، الحيز ، المكان المغلق ، المكان المفتوح ، الوصف التصنيفي .

المقدمة:

للمكان أهمية كبيرة ؛ و ذلك لما يحويه لباقي العناصر داخل بنية الحكي ، فهو الذي يوفر لها المناخ للظهور ، و ليس الظهور فقط بل الاستمرارية ، فالمكان " إذاً سواء أكان واقعياً أم خيالاً يبدوا مندمجاً بالشخصيات كارتباطه و اندماجه بالحدث أو جريان الزمن " [١] .
إذاً فالمكان له ارتباط وثيق بكل عناصر السرد ، و يتم تشكيله من خلال الكلمات " و المكان في الرواية يتشكل عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته الخاصة و أبعاده " [٢] .

و تكمن الصعوبة في تشكيل المكان في أنه يتم ذلك من خلال عدة مقاطع لغوية تستمد مقوماتها من الموجودات في الحياة ، ولا تقتصر أهمية المكان على ظهور باقي عناصر السرد بل إن في كثير من الأحيان يصبح للمكان دلالات عدة يوحي بها داخل القصة .

المفهوم و إشكالية تعدد المصطلح

قد ظهرت على الساحة النقدية قضية تعدد المصطلحات للمكان و تداخلها مع مصطلحات كثيرة أبرزها مصطلحا : الفضاء و الحيز .
و فيما يلي تحديد لكل مصطلح منفرداً لتجنب هذا اللبس :-

١ ـ الفضاء

يرى جيرار جينيت أن الفضاء أشمل من المكان ، حيث يتعدى الفضاء الإشارة إلى مكان معين فالفضاء " يخلق نظاماً داخل النص ، مهما بدا في الغالب كأنه انعكاس صادق لخارج النص الذي يدعى تصويره بمعنى أن دراسة الفضاء الروائي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالآثار الشخصية "[٣] .
و يتميز الفضاء بالاتساع و الشمولية أي " يتسع ليشمل الإيقاع المنظم للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة ، و لوجهات نظر الشخصيات فيها " [٤] .
و الفضاء يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فهو حاضر لا يغيب و إن خلت القصة أو الرواية من ذكر المكان ، فالفضاء حاضر بدوره و يدركه المتلقي " الفضاء موجود على امتداد الخط السردي ، إنه لا يغيب مطلقاً حتى و لو كانت الرواية بلا أمكنة ، فالفضاء حاضر في اللغة

١ـ رولان بورنوف ، و ريال اوئيليه : عالم الرواية ، تر : نهاد التكرلي ، دار الشئون الثقافية ـ بغداد ، العراق ، ط ١ ، ١٩٩١ ، ص ٩٨ .

٢ـ سيزا قاسم ، بناء الرواية ، ص ٧٤ .

٣ـ جيرار جينيت و آخرون : الفضاء الروائي ، تر : عبد الرحيم حزل ، إفريقيا الشرق ـ لبنان ، ٢٠٠٢ ، ص٢٠ .

٤ ـ سمر روحي الفيصل : الرواية العربية البناء و الرؤيا ، اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ، ٢٠٠٣ ، ص ٧١ .

، في التركيب ، في حركية الشخصيات ، و في الإيقاع الجمالي لبنية النص الروائي " [١] .

الفضاء لغة :

جاء في لسان العرب " الفضاء : المكان الواسع من الأرض ، و الفضاء : الساحة ، يقال : أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء "[٢] .

و استنادا إلى هذا التعريف فإن الفضاء يدل على الساحة التي تشتمل على العديد من الأمكنة و بالتالي فهو تعريف عام .

الفضاء اصطلاحاً :

الفضاء في العمل الروائي ما هو إلا فضاء لغوي و عقلي ، حيث يستخدم الروائي اللغة في رسم فضاء مُتخيل داخل عقل المتلقي ، و يكون ذلك من خلال إطار يُبين الفضاء و يوضحه سواء كان إطار طبيعي أو صناعي أو جامد أو متحرك ، ولا تتقيد الروائية بفضاء واحد بل ربما تتعدد الفضاءات داخل الرواية الواحدة و يكون ذلك بتنقل الشخصيات بين الأمكنة المختلفة " يتعدد فضاء الرواية إذا انتقلت الشخصية الرئيسية في أماكن مختلفة ، و يتعدد أيضاً إذا انتقلت بين الفضاء الفعلي و الحلم و الفكر و التذكر ، و يتولد من ذلك فضاءات عديدة يتشكل منها الفضاء الروائي العام " [٣] .

أما حسن بحراوي فطابق بين مفهوم الفضاء و مفهوم المكان " إن الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى ، لا يوجد إلا من خلال اللغة فهو فضاء لفظي بامتياز ،إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب و لذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه و بحمله طابعاً مطابقاً لمبدأ المكان نفسه " [٤] ، فزاوج بين المصطلحين و ذلك بسبب تكوين كلاً منهما حيث يتشكل الفضاء من خلال اللغة فينسج الروائي فضاء عمله من خلال مجموعة من الكلمات ليكون حاملاً لفكرة العمل كما يكون الأرض التي تدور عليها الأحداث جملة .

و قد تم تحديد الفضاء بأربعة أشكال هي :

- **الفضاء الجغرافي** : و هو الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال .
- **الفضاء النصي** : وهو المكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكائية .

١ـ حسن نجمي ، شعرية الفضاء ، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص ٦٥ .

٢ـ ابن منظور : لسان العرب ، (ف ـ ض ـ ا) ، ص ٣٤٣٠ .

٣ـ لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ص ١٢٩ .

٤ـ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء ـ الزمن ـ الشخصية) ، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ، ط ٢ ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٧ .

- **الفضاء الدلالي** : يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بُعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام .
- **الفضاء كمنظور** : يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي ، بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة الخشبة في المسرح [١] .

ومن ذلك يتضح أن الفضاء له علاقة وثيقة بكل العناصر التي تدخل في بناء العمل الروائي ، و من أنواعه الفضاء الجغرافي الذي يأتي مرادفاً للمكان ، فكلاهما يتحرك فيه الأبطال و تجري عليه الأحداث ، و بذلك يكون الفضاء أوسع و أشمل من المكان .

٢ ـ **الحيز** اختلف النقاد في تعريف مصطلح الحيز ، فمنهم من ربطه بمصطلح الجغرافيا المكانية ، و منهم من توسع في المفهوم فجعل الحيز أشمل و أوسع من المكان ؛ لأنه هو الذي يتنافس الروائيون في مجاله ، فهو عنصر أساسي يمكن ربطه بكل العناصر الحكائية الأخرى ، فوجوده ضروري ولا يخلو أي عمل سردي منه .

و على الصعيد الآخر يرى أن الحيز خاص بالأشياء التي يتم تحديدها بدقة و لا شيء أكثر من ذلك فهو عبارة عن " التضاريس المكانية المحددة بحدود معينة في النص الأدبي ... و تتمثل هذه التضاريس في الأمكنة المختلفة الواردة في النص الروائي " [٢] .
فالحيز هنا يطلق على الأمكنة التي ورد ذكرها في العمل الروائي فقط وأتت محددة بحدود معينة ، فلا مجال هنا للشمول أو العمومة بل يقتصر على ما تم تحديده فقط .
و بعض النقاد جعل الحيز بدل المكان لما لهذا المصطلح من انضباط كما ورد على لسان عبد الملك مرتاض " أن مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل قاصر بالقياس إلى الحيز لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جارياً في الخواء و الفراغ بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن ، والثقل و الحجم "[٣].

٣ ـ المكان

المكان لغة :

جاء في لسان العرب " المكان الموضع ،و الجمع أمكنة كقذال و أقذلة ، و أماكن جمع الجمع ، قال ثعلب : يبطل أن يكون مكان فعالاً لأن العرب تقول : كن مكانك ، وقم مكانك و أقعد مقعدك ، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضوع منه"[٤]، و استناداً على ذلك تكون الميم أصلاً من الكلمة .

١ـ انظر ، حميد لحميداني : بنية النص السردي ، ص ٦٢ .

٢ـ مراد عبد الرحمن مبروك : جيوبوليتيكا النص الأدبي ، دار الوفاء ـ الإسكندرية ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ٦٨ .

٣ ـ عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، ص ١٤١ .

٤ ـ ابن منظور : لسان العرب ، (م ـ ك ـ ن) ، ص٤٢٥٠ .

و قيل أيضاً أن المكان هو " الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم أو ينفذ فيه أبعاده "[١].

المكان اصطلاحاً :

المكان من أهم مكونات العمل الفني و ذلك ؛ لأنه هو الإطار أو المسرح الذي تجري عليه الأحداث و تتحرك فيه الشخصيات ، فهو واقعي بالنسبة للشخصيات متخيل بالنسبة للراوي و للقارئ " فالمكان في العمل الفني شخصية متماسكة ، و مسافة مقاسة بالكلمات و رواية لأمور غائرة في الذات الاجتماعية ، و لذا لا يصبح غطاءاً خارجياً أو شيئاً ثانوياً ، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلاً بالعمل الفني "[٢] .

و المكان لابد من وجوده داخل العمل السردي و إن لم ينص عليه الكاتب صراحة ففي بعض الأحيان يتم الإشارة إليه في لمحات و جيزة خلال السرد ، و لا يخلو أي عمل سردي منه طالما اشتمل على شخصيات ، فالشخصيات تقوم بأفعال لابد لها من إطار تحدث فيه و زمان معين يحدد لحظة الوقوع ، فيقول جيرارد برانس : عن المكان " المكان أو الأمكنة التي تقدم فيها الوقائع و المواقف (مكان المواقف و زمانها مكان القصة) و الذي تحدث فيه اللحظة السردية"[٣] .

" و دراسة المكان ارتبطت بالتحليل لكونه هو المجال الذي تجري فيه أحداث القصة ، و إن كانت الرواية أيضاً بالأساس حدث روائي و شخصيات و فكرة ، للرواية جانب آخر هو مكان اللقاء هذا المكان يسمح لشخصيات متعددة بالالتقاء ضمن إطار عام و سياق واحد و بالتالي يساهم في تكوين الحدث الروائي إذ هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية بعضها ببعض "[٤] .

فلا يمكن تصور الرواية حتى قبل قراءتها دون مكان و ذلك لأن الرواية عبارة عن بنية هندسية مرهونة بالمكان و الزمان " فالمكان هو شبكة من العلاقات و وجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشيد الفضاء الروائي الذي تجري فيه الأحداث"[٥].

١ـ جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ج ٢ ، ١٩٧٩ ، ص٤٢١ .

٢ ـ ياسين النصير : الرواية و المكان (٢) ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ العراق ، د ط ، ص ١٧ .

٣ ـ جيرارد برانس : المصطلح السردي ، تر : عابد خزاندار ، مراجعة و تقديم : محمد بريري ، ص٢١٤ .

٤ ـ محمد برادة : الرواية العربية واقع و آفاق ، دار ابن راشد للطباعة و النشر ، ط ١ ، ١٩٨١ ، ص ٢١٠ .

٥ ـ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص ٣٢ .

و بالتالي فعند الإشارة إلى مكان معين لابد وأن ننتظر وقوع حدث ما ؛ لأن المكان قرين الحدث ولا يتم الإشارة إليه هباءاً ، و لكل مكان دلالة عميقة داخل النفس و يحدد غاستون باشلار مدى التواشج مع المكان بقوله :" أن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً ذا أبعاد هندسية و حسب ، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما للخيال من تحيز ، إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية " [١] .
و يتم تقديم المكان من خلال الوصف سواء كان الوصف تصنيفي أو تعبيري .*

وكما اختلف النقاد حول مصطلح الفضاء و الحيز و المكان و تعددت الآراء حول مفهوم المكان ، وقع الاختلاف حول التسمية التي تطلق على عنصر المكان ، فتعددت المصطلحات الدالة عليه ؛ ومن بينها ظهر مصطلح الموقع و الفراغ و مصطلح البقعة ، و لكن مصطلح المكان هو الأكثر شيوعاً بين النقاد ، و أكثر استعمالاً في الدراسات النقدية العربية ؛ و ذلك لاتساقه مع لغة النقد العربي[٢] .

و بعد عرض هذه التعريفات التي تخص المصطلحات الثلاثة : الفضاء و الحيز و المكان ، سنتحدث و نبحث عن مصطلح المكان ؛ لأن عنوان الفصل موسوماً بجماليات المكان ، و ذلك لأن مصطلح المكان أكثر شيوعاً و استعمالاً بين النقاد والباحثين العرب على وجه الخصوص ، وهو الأقرب إلى الواقع المعيش .

١ـ غاستون باشلار : جماليات المكان ، تر : غالب هالسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ـ بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٤ ، ص ٣٦ .

*الوصف التصنيفي : يدرس المكان مفصلاً بكل أبعاده و أجزاءه و سماته .

*الوصف التعبيري : لا يفصل في سرد وصف المكان بل يكتفي بتصنيف الأبعاد فيصبح الأسلوب تعبيرياً أكثر منه وصفياً .

٢ـ انظر ، سيزا قاسم : بناء الرواية ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

تعددت أماكن الإقامة و الانتقال في مجموعات إيهاب الورداني القصصية و تنوع بناء المكان في هذه المجموعات ما بين الوصف الجغرافي و الوصف الفني ضمن لغة أدبية تلامس روح المكان ، و لما كان المكان قد يتعدد و يتنوع ، فسنعتمد في دراستنا لهذا العنصر على تقسيمه وفقاً لثنائية الانفتاح و الانغلاق بحسب ما تتوفر عليه المجموعات القصصية من أماكن متنوعة ذكرها القاص ، مع بيان الصفات المختلفة لكل مكان و بيان حضوره الذي يمثل دلالات مختلفة عبر القصص ومن هذه الأنماط :

أـ المكان المفتوح (العام)

هي الأماكن التي تسمح بالاتصال المباشر مع الآخرين فلا يوجد لها حدود ضيقة ، و كثيراً ما تكون منفتحة على الطبيعة ، أما من ناحية الشكل فتختلف هذه الأماكن و تتعدد في الشكل فلا تخضع لرسم هندسي موحد و يرجع ذلك إلي طبيعة تكوينها فالقرية تختلف عن المدينة و هكذا ، كما أن المكان الواحد قد يختلف شكله الهندسي من قصة لقصة أخري ، و الأماكن المفتوحة لها حضور في القصص يمكن حصرها في :

١ـ المدينة :

من الأماكن المفتوحة التي تسمح للشخصيات بالتحرك فيها بحرية تامة فيكون الاتصال مع العالم الخارجي فيها قوي و مباشر ، فهي كثيراً ما تعج بالبشر من مختلف مراحل الحياة ، فالمدينة هي مأوى الناس يعيشون فيها و يعملون و يدرسون وهي أيضا مكان للتسوق و مكان للقاءات و بالتالي أصبحت " المدينة بمحيطها الإنساني الوحدة المكانية لوقوع الأحداث " [١] .
كانت المدينة هي مسرح الأحداث في بعض قصص إيهاب الورداني ومن هذه القصص قصة **(الركض على جدار أملس)** فقد عمد القاص إلى ذكر المدينة و بيان عدة أوصاف لها " في المدينة كل شيء ملون .. واجهات البيوت ، زجاج الفاترينات ، ألوان السيارات .. الوجوه ـ وجوه النساء وبعض الرجالات ـ المدينة زوجتي "[٢].

فالقاص هنا يشبه المدينة بزوجته في الألوان التي تشتمل عليها فكل شيء ملون البيوت و الفاترينات و السيارات ، و الأصل في التشبيه أن يشبه الشيء الذي يظهر فيه وجه الشبه ضعيف بالشيء البارز و لكنه عمد إلى العكس هنا دلالة على أن زوجته مبهجة بألوانها أكثر من المدينة ، و بما أن المدينة تتلون بألوانها كذلك زوجته تتلون تبعاً لمزاجها .

و في قصة **(سجدة سفر)** يذكر القاص ما شاهده أثناء سفره في السيارة إلى القاهرة " في السيارة بدت شوارع القاهرة بناسها و ضجيجها و عماراتها كئيبة و رمادية"[٣] ، فعمد القاص هنا إلى رسم الملامح العامة للمكان من خلال الحالة النفسية للشخصية و ليس من خلال المكان

١ـ سيزا قاسم ، بناء الرواية ، ص ١٠٨ .

٢ـ على باب ناعسة ، ص ٥٢ .

٣ـ الإرث ، ص ٣٦ .

ذاته ، فالكآبة و الضجيج هنا دليل على الحالة النفسية القلقة المتشائمة التي لم تعد تبالي بشيء .

و في قصة **(رجفة)** ذكر القاص كورنيش النيل " لم يكن هناك سوى عم كمال يحث جطا منهوكة تحت أشعة الشمس على كورنيش النيل " [١] .

و المقصود هنا ليس المكان في حد ذاته بل المقصود هو دلالة المكان في النفوس فالكورنيش مكان يلجأ إليه من يريد الإنفراد بنفسه بعيداً عن صخب الحياة فيبث حزنه للنيل و يناجيه و يخرج كل ما في جعبته من آهات و يساعد مشهد الماء على تصفية الذهن ، وهذا ما كان من عم كمال حيث توجه إلى الكورنيش يشكو حاله و يتحسر على نفسه و على ما أصابه و يعزي نفسه ؛ لأنه كان من القلة الذين يحملون الأحلام فلم يسلم من السفلة و مأجورين التفاهات يقول :

" كان يعرف أنه وحده ـ من قليل ـ الذين يحملون الأحلام و الرؤوس الفارغة كثيرة ، و أي حلم لو صغر ـ حتماً ـ يثقل الرأس الداخل فيها ، و يؤلب عليها الأنطاع و السفلة و مأجوري التفاهات " [٢] .

٢ ـ القرية :

حضرت القرية في مجموعات إيهاب الورداني القصصية بشكل قوي حيث دارت معظم الأحداث فيها و ظهرت بخصوصياتها فهي " تعتبر من الولادات البكرية الأولى للأمكنة ، شأنها شأن رحم الأم ، و بيت الطفولة " [٣] .
و القرية في قصص إيهاب الورداني متمثلة في قريته (مُجول) التي تحدد هويته و انتمائه الحقيقي ؛ أنه عاش مراحل تكوينه فيها ، فشكلت أساس تجربته الحياتية و عمد إلى وصفها وصفاً دقيقاً ، و لم يكتفي بالوصف المادي بل تعداه إلى تحديدها بصفات أخرى تدل على أخلاق قاطنيها .

و ذكر القاص اسم قريته (مُجول) صراحة في عدة قصص نذكر منها :

قصة **(الخروج إلى مجول)** يشير القاص إلى قريته (مُجول) صراحة في عنوان النص ، و داخل النص يأتي على ذكر عدة أماكن موجودة في مجول ، فبعد أن قدم من السفر خالي الوفاض خرج إلى مُجول في رحلة استكشافية لعل ما به من ضيق يزول ، و لكنه سرعان ما تنبه إلى مُجول وما حدث فيها من تغيير حتى وصل به الحال إلى أنه ينكر على نفسه معرفتها فيقول :" ليست مُجول ما ترى !!" [٤] .

---

١ ـ ثمة حارس يفزعه الوقت ، ص ٦٦ .

٢ـ السابق ، ص ٦٦ .

٣ ـ شاكر النابلسي : جماليات المكان في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ١٩٩٤ ، ص١٠١ .

٤ ـ على باب ناعسة ، ص ١٢٦ .

و خلال هذه الرحلة يصف كل الأماكن التي يمر عليها فأتى على ذكر الضريح و الوسعاية و المقابر أيضاً فيقول :

" تمشي ، و تمشي .. تعبر الطاحونة ، و الصهريج العالي على مقربة يطالعك النهر ، تغرز عينيك فيه ، لا ماؤه توقف عن الانسياب ولا ارتد البصر إليك " [١] .

ومن القصص التي ذكر القاص فيها اسم مُجول صراحة قصة (**بنت الكذاب**) فذكر فيها منحنيات و أزقة مُجول التي لم تتغير و بقيت على حالها منذ أكثر من قرن مضى ، و هذه الأزقة كثيرة الانحناءات فهي كثيراً ما تتداخل في بعضها البعض يقول القاص :

" تقاطع الخطوط عفواً في لوحة الزمن ترسم بشكل أو بآخر تفاصيل قدرية عجيبة يمكن مجازاً تحملها ، تماماً كمنحنيات أزقة مُجول ، التي شهدت نحو أكثر من قرن على حالتها تلك " [٢] .

و أشار القاص إلى عالم الريف المتمثل في قريته مُجول ، فالريف هو رمز الهدوء و النقاء و هو أيضاً مكان لراحة و سكينة النفوس .

في قصة (**تكوين**) أتى القاص على ذكر مجموعة من الدلالات الهامة التي تعبر عن الريف ، بل و تتصف به معظم البيوت الريفية ، ومن هذه الدلالات كلمة (زريبة) و هي تدل على المكان الذي يستعمل لتربية الحيوانات فيقول :

" دارت حول أمها ، في الزريبة (المساحة المحصورة بين دورة المياه و القاعة ، و التي فتح في سقفها منور صغير للشمس و الهواء) " [٣] .

٣ ـ الضريح :

يقصد به القبر ، و الأضرحة المقدسة هي قبور الأولياء الصالحين ، و يقصد به أيضاً المقام أي هو الذي يبنى فوق قبر الفرد بهدف تخليده.

و يذهب الناس إلى الأضرحة ذات العلاقة بالأولياء و المشايخ لطلب المساعدة على قضاء الحوائج و علاج المشكلات .

و قد اهتم القاص إيهاب الورداني بالأضرحة ؛ باعتبارها أحد معالم مجول و من القصص التي تم فيها ذكر الأضرحة قصة (**ورد**) فيقول :

" و حينما عبرا ساحة الضريح و وصلا المقام ، التفتا تجاهه و بدأ في قراءة الفاتحة ، غمغمت

---

١ ـ على باب ناعسة ، ص ١٢٨ .

٢ـ ثمة حارس يفزعه الوقت ، ص ٧٧ .

٣ـ الإرث ، ص١٤.

المرأة السمينة : مدد يا سيدي فايد ، بيض وشي المرة دي " [١] .

فهو ذهب ليجلب الداية من أجل زوجته التي تعاني من ألم المخاض ، و أثناء العودة تعلق بالضريح و بدأ في قراءة الفاتحة و في نفسه يطلب المدد و العون حتى ينجي الله زوجته ، و يتمنى أن يكون القادم ولد ، و بالمثل فعلت الداية حيث طلبت المدد من صاحب الضريح و تمنت أن يكون القادم ولد هذه المرة .

٤ـ الوسعاية :

وسعاية اللاشينا عبارة عن مكان خالي موجود في قرية مُجول كثيراً ما وقف عليه القاص في قصصه .

ومن القصص التي ورد فيها قصة (**الخروج إلى مُجول**) يقول القاص :

" في وسعاية اللاشينا ينكمش الزمن ، يتداخل ، بيوت عالية مهجورة ، جدران متهدمة ، حجر طاحونة تهشمت زواياه ، يقف شعر رأسك ، كانت أمك تقول : الخرابة مسكونة " [٢] .
الوسعاية هنا ما هي إلا مكان قديم مهجور خلا من الناس ، و أصاب البيوت فيه الهلاك ، فرؤيته تقبض القلب و الحديث عنه يشغل الفكر ، فأصبح هذا المكان خرابة بل و مسكونه أيضاً.

٥ ـ العيادة :

هي المكان الذي يذهب إليه المريض لكي يستشير الطبيب في حالته و لا يمكث فيها إلا ساعات قليلة .

و من القصص التي كانت العيادة فيها هي مسرح الأحداث قصة (**براح الوجع**) يقول :
" كانت شقة العيادة سيئة بالفعل ، حتى تلك الصور القليلة المعلقة على الجدران و الموسومة بحروف أجنبية باهتة كأنما اختيرت لتقبض العين و القلب معاً " [٣] .

كانت العيادة هنا مكاناً غير محبب إلى النفس ؛ لأنها لا تتمتع بالقدر الكافي من النظافة ، فالرائحة كريهة ، و الجو العام محمل بالكآبة ، و كذلك الصور المعلقة على الجدران تقبض العين و القلب معاً .

٦ ـ المحطة :

عبارة عن مكان عام يكون الشخص فيه على اتصال مباشر بغيره من المسافرين الذين تجمعهم المحطة ، ثم ما يلبث أن يذهب كلاً منهم إلى وجهته .

١ـ على باب ناعسة ، ص ١٧ .

٢ـ على باب ناعسة ، ص ١٢٧ .

٣ـ السابق ، ص ٧٨ .

و قد تتحول إلى مكان داخلي نفسي كما في قصة (**الرقص على الخليج**) بحيث تمثل المحطة حقيقة العالم من حوله فيبدوا و كأنه أفاق من غفوة كانت و بدأ يتأمل عالمه من حوله فيشعر بوحدته و غربته من خلال طوافه في الوجوه الغريبة ، و يتكرر المشهد كل صباح ، فيزعق بأعلى صوته حتى تلتفت له هذه الوجوه و لكنها تكتفي بالحوقلة و البعض كأنه لا يرى ، يقول القاص :

" تراه وحده ، في ميدان المحطة ، كل صباح يقف ، يزعق بأعلى صوته ، تلتفت رؤوس كثيرة ، بعضها تحوقل ، بعضها تغوص أعينها تحت القدمين " [١] .

٧ ـ السوق :

يُعد من أكثر الأماكن انفتاحاً بسبب كثرة الناس الذين يترددون عليه ، فهو المكان الذي يباع و يشترى فيه كل شيء ، حيث أنه مكان التجارة الأول الذي يعج بالتجار الذين يعرضون سلعهم من أجل بيعها ، فيزخر بأشكال متنوعة من الحركة .

وكان السوق هو مسرح الأحداث في قصة (**غضبة سومة**) يقول القاص :

" لا ترى عيناك غير درب ضيق مزدحم بالرؤوس و الأجساد و ضجة لا تهدأ ، و قد تضغط على فتحتي أنفك لا إرادياً دون أن تشعر حين تخترقك روائح عطنة مندفعة من كومة قاذورات بجوار مصفى البلدية " [٢] .

فكل أحداث القصة تجري في هذا الدرب الضيق ففيه تخرج سومة لكسب قوتها و أمثالها الكثير و فيه أيضاً يخرج شبل ليعتدي على الناس بدون وجه حق ، و مع كثرة الزحام و عدد الناس لا يستطيع أحد الوقوف في وجهه .

٨ ـ المقبرة :

مكان يحمل في طياته أناس عشنا معهم بدون خوف منهم و مع ذلك عند ذكر هذا الاسم يقشعر له البدن بسبب أنها المأوى الأخير للإنسان و يتحدد فيها مصيره إما النعيم أو العذاب و هو المكان لزيارة الأموات فيتجه نساء و رجال إلى الزيارة و الصلاة على الأموات و الدعاء لهم .

و ذكر القاص المقابر في قصة (**الخروج إلى مجول**) يقول القاص :

" ها هي المقابر أمامك ، قدام أنفك .. و قريتك ملقاه ، في الظهر ، خلفك .. ادخل .. تنحرف يميناً . تدخل أول شارع ..الموتى مرتاحون .. عيون كثيرة تطل عليك ، تقيسك من رأسك لساسك ، الموتى لا يرون " [٣] .

---

١ ـ الإرث ، ص٣٩ .

٢ـ ثمة حارس يفزعه الوقت ، ص ٣٠ .

٣ـ على باب ناعسة ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

يقدم القاص المقابر و يصف موضعها بدقة ، و يبين حالته النفسية السيئة و الكآبة و التشاؤم الغارق فيهم ، حتى أنه يحسد الموتى و يظن أنهم في راحة على عكس الأحياء ، فهم يعانون و لكن مع اختلاف نوع المعاناة .

٩ ـ الشوارع و الطرقات :

من الأماكن المفتوحة التي أكثر القاص من ذكرها عبر مجموعاته القصصية ، فهو دائم الذكر لشوارع بعينها و ردد أسمائها في غير موضع واحد .

و من القصص التي ورد فيها شوارع بعينها قصة (**جلوه**) نجد شارع البحر مكان الحدث ، حيث يقف القاص فيه و يحس بالوحدة لأنه دون أنيس أو صاحب فيداعب الماء بقدمه يقول :

" في شارع البحر أمشي .. أرى الناس من حولي صفاً صفاً ، مندفعين في نفس اتجاهي .. و كثيراً ما وقفت وحدي دون أنيس يشاركني خلوتي ، أداعب الماء بقدمي الطفلتين فتشدني " [١] .

١٠ ـ الدكاكين و المتاجر :

ذكر القاص في قصصه مجموعة من الدكاكين و من ذلك قصة (**الرصيد**) حيث أتى القاص على ذكر الدكان في قوله :

" استنشق الرجل هواء الشارع ثم بصقه في زفرة موجعة اتجه إلى دكان البقالة ابتاع مظروفاً مؤطرا بالأحمر و الأزرق " [٢] .

وهو عبارة عن محل تجاري صغير يوجد فيه أساسيات البقالة و بعض الحاجيات الأخرى .

ب ـ المكان المغلق

هي الأماكن التي تتصف بأن لها إطار خاص بحيث يفصلها عن العالم الخارجي ، و تتصف هذه الأماكن أيضاً بأن محيطها ضيق فيستطيع الشخص أن يكون فيها على راحته بعيداً عن صخب الحياة ، و يفضل البعض هذه الأماكن حيث يشعر فيها بالأمان و الحماية ، و قد يرفضها البعض بسبب أنها صعبة الولوج .

١ـ البيت :

من الأماكن المغلقة التي تتسم بحدود خاصة تفصله عن العالم الخارجي ، و هو مملكة الإنسان الذي يلجأ إليه في كل الأحوال سواء كان للراحة أو الأمان أو الأفراح أو الهموم أو الآمال أو الأحزان .

١ـ الإرث ، ص٦١ .

٢ ـ على باب ناعسة ، ص ١٣١.

وهو الذي يحوي الإنسان بكل مراحله العمرية و النفسية ، فبعد يوم طويل من العناء لا يجد الشخص إلا بيته لكي يحتويه ، و يتحرر فيه الشخص من سلطة المجتمع ، و كل قطعة فيه و كل ركن منه بمثابة حلم و ذكريات جميلة " فالبيت جسد و روح و هو عالم الإنسان الأول " [١].

وقد ذكر إيهاب الورداني البيت في كثير من قصصه القصيرة مثل قصة (**الطيبون**) يتحدث الراوي عن زيارة مفاجئة من أحد الأصدقاء فيجد البيت في حالة فوضى يقول :

" في مواجهة باب الشقة ترابيزة السفرة بزجاجها المكسور ، بعض كتب و أوراق متناثرة ، و مسدس صغير و سيارة و قطار مقلوبة عربته الأمامية " [٢] .

و يعتذر له المُضيف و لكنه لا يبالي و يشتكي له تنكر الأصدقاء ، فيأتي له صاحب البيت بطعام فيأكله منه و يوهم صاحبه أنه تسمم بسببه و يلازم البيت من أجل الراحة ، و لكنه سُرعان ما يتحول إلى ضيف ثقيل فيطرده صاحب البيت " كنت أرغب الآن في صفعه أو ركله أو أمد يدي و أخرج عينيه و أدحرجهما أمامي و أمامه .. غير أني بإصرار و استهانة دفعته للخارج و أنا أشير للطرق "[٣] .

٢ ـ الغرفة :

من الأماكن المغلقة شديدة الخصوصية بعيدة كل البعد عن العالم الخارجي و إن كانت جزء من البيت و لكنها رمز للراحة و الطمأنينة ، و هي تعد غطاء الإنسان

حيث " يدخلها الإنسان فيخلع جزءاً من ملابسه ، و يدخلها ليرتدي جزءاً آخر ، و عندما يألفها يتحرك بحرية أكثر ، و إذا ما اطمأن تماسكها بدأ بالتعري فيها ، التعري الجسدي و الفكري ، لكنه عندما يخرج منها يعيد تماسكه ، و يبدو كما لو أنه خرج من تحت غطاء خاص " [٤] .

و الغرفة تردد ذكرها في الكثير من قصص إيهاب الورداني نذكر منها قصة (**على باب ناعسة**) حيث يقول : " تمسحين الحجرة بعينيك الواسعتين : على السرير جوارك بناتك الأربع التصقن ببعضهن احتماء من البرد ، على السرير المقابل ذي الأعمدة ترقد أمك و أختاك " [٢] .

و هنا يتحدث القاص عن غرفة نوم ناعسة و يصف ما فيها من أثاث ، كما يتحدث عن الطقوس التي تقوم بها ناعسة كل يوم ثلاثاء و هو يوم خروجها إلى السوق للمتاجرة و كسب لقمة العيش.

١ـ غاستون باشلار : جماليات المكان ، ص ٣٥ .

٢ على باب ناعسة ، ص ٨٢ .

٣ ـ السابق ، ص ٩٦ .

٤ ـ ياسين النصير : الرواية والمكان (٢) ، دار الثقافة العامة ـ العراق ، د ط ، ص ٧٨ .

٥ ـ على باب ناعسة ، ص ٦٩ .

فهرست المصادر و المراجع

أولاً المصادر :

- على باب ناعسة ، دار المتميزة للطباعة ،ط١ ، ١٩٩٣ م .
- الإرث ، كتاب رؤى ، ط ١، ١٩٩٩م .
- ثمة حارس يفزعه الوقت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٨ م .

ثانياً المراجع :

- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ج ٢ ، ١٩٧٩ م.
- جيرار جينيت و آخرون : الفضاء الروائي ، تر : عبد الرحيم حزل ، إفريقيا الشرق ـ لبنان ، ٢٠٠٢ م .
- جيرارد برانس : المصطلح السردي ، تر : عابد خزاندار ، مراجعة و تقديم : محمد بريري ، ص٢١٤ .
- حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء ـ الزمن ـ الشخصية) ، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ، ط ٢ ، ٢٠٠٩م.
- حسن نجمي ، شعرية الفضاء ، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ م.
- رولان بورنوف ، و ريال اوئيليه : عالم الرواية ، تر : نهاد التكرلي ، دار الشئون الثقافية ـ بغداد ، العراق ، ط ١ ، ١٩٩١ م.
- سمر روحي الفيصل : الرواية العربية البناء و الرؤيا ، اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ، ٢٠٠٣ م.
- شاكر النابلسي : جماليات المكان في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ١٩٩٤ م .
- غاستون باشلار : جماليات المكان ، تر : غالب هالسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ـ بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م.
- لطيف زيتوني : معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار للنشر .
- محمد برادة : الرواية العربية واقع و آفاق ، دار ابن راشد للطباعة و النشر ، ط ١ ، ١٩٨١م .
- مراد عبد الرحمن مبروك : جيوبوليتيكا النص الأدبي ، دار الوفاء ـ الإسكندرية ، ط ١ ، ٢٠٠٢م .
- ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة ، ط ١ .
- ياسين النصير : الرواية والمكان (٢) ، دار الثقافة العامة ـ العراق

The aesthetics of the place in Ihab Al-Wardani's fictional works

By
Noura Samir Mohamed Mohamed
Master of Literature and Criticism in The Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tanta University

A.D. / Osama Mohammed Al-Beheiry
Professor of Literary Criticism and Eloquence in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tanta University

Dr. Bashir Issam Al-Shorbagi
Teacher of Literature and Criticism in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:
The subject of the study crystallized about clarifying the centrality of the place in the collections of Ihab Al-Wardani stories, where he took great interest in the place and went from being a framework in which the events fall or on him to be the first hero of the story, and the storyteller excelled in highlighting the place with its limits and features and effects using the techniques of description so the place became an influence Clear on the formal, psychological and social aspect of the character, which helped to build other elements of the story, and the study of the place revealed that the stories of Ihab al-Wardani are strongly related to their environment, through: the careful depiction of the environment represented by the village of Mujul, which was the scene of events and the place of movement of characters in most stories. The study relied on the mechanisms of the technical approach with the necessary analysis and budget, as well as did not lose sight of the content and the objectives and objectives that fall behind it.
The study was divided into two parts: part one: concept and the problem of the multiplicity of terms, part two: the duality of openness and closure with the statement of the different qualities of each place and the statement of its presence, which represents different connotations through stories.

The most important results of the study: represented by the success of al-Qass in expressing public and private issues through the adaptation of the patterns of the place open and closed, as al-Qas succeeded in photographing the local environment represented in his village toured accurately in his stories, between what it has characterized as explained its defects that accompanyit throughout the ages.

Keywords:
Space, place, space, closed space, open space, classification description.